١٢ - مناهج الإصلاح (٣)

٢/ ٨/ ١٤١٩هـ

إنَّ الحَمْدَ ِللهنَحمَدُهُ ونَستَعينُهُ... أَمَّا بَعْدُ:

فَمَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَقَد كانَ مِن حِكمَةِ اِلله تَعَالَى أَن يَكونَ الحَقُّ والباطِلُ فِي صِراعٍ دائِمٍ؛ لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ويَحيَا مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ، يُؤكِّدُ هَذا ما أَصابَ دَعوةَ الرُّسُلِ عَلَيهِمُ السَّلامُ مِن كَثرةِ المُعارِضينَ، وتَنَوُّعِ أَساليبِهِم وطُرُقِ عِدائِهِم.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَقَد طالَ الإِسْلامَ نَصيبُ الأَسَدِ مِن سِهامِ العِداءِ، قامَ أُولَئِكَ الأعداءُ، واستَماتُوا فِي رَفعِ رايَةِ المُعارَضَةِ، وفِي طَعنِ قَلبِ المُجتَمَعِ الإِسْلامِيِّ.

وَلِذا لاَ تَكادُ فِتنةٌ تَخبُو ويَطفَأُ رَمادُها حَتَّى تَقومَ فِتنةٌ أُخرى، يُحَرِّكُ ذَلِكَ ويقُودُهُ العِداءُ المُتَأَصِّلُ لِلإِسْلامِ وَالمُسلِمينَ. وكانَ مِن أَعظَمِ الفِتَنِ تِلكَ الفِتَنُ العَقديَّةُ المُنحَرِفَةُ التِي شَوَّهَت صَفاءَ الإِسْلامِ، وأدخَلَت الوَهَنَ فِي قُلوبِ الكَثِيرِ، بَل وجَزَّأَتهُم عَلى الطَّعنِ فِي نُصوصِ الشَّرعِ، فَكانَ العَقلُ عِندَهُم قائداً والشَّرعُ مَقُوداً.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

عَلى الرَّغمِ مِن تِلكَ الفِتَنِ المُتَتالِيَةِ وكَثرَةِ سَوادِ أَهلِها، كانَ النَّاصِحونَ والمُصلِحونَ بِالمِرصادِ لِجَميعِ ذَلِكَ، وقَد مَضَت سُنَّةُ اِلله تَعَالَى فِي أَنَّ نُورَ الحَقِّ لاَ يَغيبُ، مَهما كانَ حَجمُ العِداءِ وَقُوَّةُ شَوكَتِهِ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَقَد قامَ أَهلُ السُّنَّةِ لِنُصرَةِ هَذا الدِّينِ، والذَّبِّ عَن حِياضِهِ، ورَفعِ رايَتِهِ.

وكانت دَعوَتُهُم وجِهادُهُم مِن أَعظَمِ أَساليبِ الإِصلاَحِ نَفعاً لِلأُمَّةِ، بَل كانت دَعوَتُهُم هِيَ الدَّعوَةَ الحَقَّ، وكانُوا أَحَقَّ بِها وأَهلَها.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَقَد قامَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ بِجُهودٍ عَظيمَةٍ فِي مُجابَهَةِ البِدَعِ والمُبتَدِعَةِ، مَعَ أَنَّ أُولَئِكَ المُبتَدِعَةَ وأَنصارَهُم وأَذنابَهُمُ استَماتُوا فِي إِظهارِ بِدَعِهِم، مُوَظِّفِينَ فِي ذَلِكَ طاقاتِهِم العَقلِيَّةَ وَالمالِيَّةَ، فَضلاً عَن سَوادِ العامَّةِ وغَوغائِهِم.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

قامَ أَهلُ السُّنَّةِ عَلى ثُغورِ الدِّفاعِ عَنِ السُّنَّةِ، وقَارَعوا أَهلَ البِدَعِ، ورَدُّوا باطِلَهُم، ودَحَضُوا حُجَجَهُم.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَمَّا كانَ أَهلُ السُّنَّةِ هُمُ الطَّائِفَةَ النَّاجِيَةَ المَنصورَةَ، التِي قَالَ عَنها النَّبِيُّ ﷺ: «**لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتِي قائِمَةً بِأَمرِ اِلله، لاَ يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلاَ مَن خالَفَهُم حَتَّى يَأتي أَمرُ اِلله وهُم ظاهِرونَ عَلى النَّاسِ**» أَخرَجَهُ الشَّيخانِ عَن مُعاوِيَةَ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنه[1].

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اِلله ﷺ: «**لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلى أَمرِ اِلله، لاَ يَضُرُّها مَن خَالَفَها**» رَواهُ ابنُ ماجَهْ[2].

وعِندَ مُسلِمٍ: قَالَ ﷺ: «**لا تَزالُ عُصابَةٌ مِن أُمَّتِي يُقاتِلُونَ عَلى أَمرِ اِلله، قاهِرِينَ لِعَدُوِّهِم، لاَ يَضُرُّهُم مَن خَالَفَهُم حَتَّى تَأتِيَهُمُ السَّاعَةُ وهُم عَلى ذَلِكَ**»[3].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

---

(1) رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٣).
(2) رواه ابن ماجه (٧).
(3) رواه مسلم (١٩٢٤).

وعَوداً عَلى بَدءٍ: لَمَّا كانَ أَهلُ السُّنَّةِ هُمُ الطَّائِفَةَ النَّاجِيَةَ المَنصورَةَ، كانَ لِزاماً عَلى مَن أَرادَ الإِصلاَحَ: أَن يَسلُكَ مَسلَكَهُم، وأَنْ يَحْرِصَ عَلى التَّمييزِ بينَ مَنهَجِ أَهلِ السُّنَّةِ وغَيرِهِم؛ حَتَّى لاَ يَلتَبِسَ عَلَيهِ الحَقُّ بِالباطِلِ. وَمِمَّا يَزيدُ ذَلِكَ التَميُّزَ تَأكيداً: أَنَّ كَثيراً مِن مَناهِجِ الإِصلاَحِ يَزعُمُ أَصحابُها أَنَّهُم يَنهَجُونَ مَنهَجَ أَهلِ السُّنَّةِ فِي رَسمِ أَهدافِهِم وَفِي جَميعِ تَصَرُّفاتِهِم ومُعالَجَتِهِم لِقَضايا المُسلِمينَ.

والنَّاظِرُ بِعَينِ الحَقِّ وَالإِنصافِ إِلى بَعضِ تِلكَ المَناهِجِ الإِصلاَحِيَّةِ، يَرى فِي أَهدافِها مَا يُخالِفُ مَنهَجَ أَهلِ السُّنَّةِ، بَل فِي بَعضِ ذَلِكَ ما قَد حَذَّرَ مِنهُ أَهلُ السُّنَّةِ رَحِمَهُمُ اُلله تَعَالَى.

قَالَ الإِمامُ السَّجزِيُّ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (كُلُّ مُدَّعٍ لِلسُّنَّةِ يَجِبُ أَن يُطالَبَ بِالنَّقلِ الصَّحيحِ بِما يَقولُهُ، فَإِن أَتى بِذَلِكَ عُلِمَ صِدقُهُ؛ وَقُبِلَ قَولُهُ. وَإِن لَم يَتَمَكَّن مِن نَقلِ مَا يَقُولُهُ عَنِ السَّلَفِ؛ عُلِمَ أَنَّهُ مُحدِثٌ زائِغٌ، وأَنَّهُ لاَ يستحِقُّ أَن يُصغَى إِلَيهِ أَو يُناظَرَ فِي قَولِهِ ...)[1].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

عَرَّفَ الإِمامُ السَّجزِيُّ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى أَهلَ السُّنَّةِ بِقَولِهِ: (أَهلُ السُّنَّةِ هُمُ: الثَّابِتونَ عَلى اعتِقادِ ما نَقَلَهُ إِلَيهِمُ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُمُ اُلله عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَو عَن أَصحابِهِ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنهُم، فِيما لَم يَثبُت فِيه نَصٌّ فِي الكِتابِ وَلا عَن الرَسُولِ ﷺ؛ لأَنَّهُم رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنهُم أَئِمَّةٌ، وقَد أُمِرنا بِاقتِداءِ آثارِهِم، واتِّباعِ سُنَّتِهِم.

وَهذا أَظهَرُ مِن أَن يُحتاجَ فِيه إِلى إِقامَةِ بُرهانٍ، وَالأَخذُ بِالسُّنَّةِ وَاعتِقادُها مِمَّا لا مِريَةَ فِي وُجوبِهِ)[2].

(١) رسالة السَّجزي (ص ١٠٠).
(٢) رسالة السَّجزي (ص ٩٩).

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

كانَ أَهلُ السُّنَّةِ رَحِمَهُمُ اُلله تَعَالَى أَكثَرَ النَّاسِ تَعظيماً لِلنُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ، وكانُوا لا يَقبَلونَ فِي ذَلِكَ صَرفاً وَلا عَدلاً.

قَالَ الإمامُ أَبو حَنيفَةَ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (إذا صَحَّ الحَديثُ فَهُو مَذهَبِي)، وقالَ أَيضاً: (لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أَن يَأخُذَ بِقَولِنا ما لَم يَعلَم مِن أَينَ أَخَذناهُ).

وَقالَ الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (إنَّما أَنا بَشَرٌ أُخطِئُ وأُصيبُ، فَانظُروا فِي رَأيِي، فَكُلُّ ما وافَقَ الكِتابَ وَالسُّنَّةَ فَخُذوهُ، وكُلُّ ما لَم يُوافِقِ الكِتابَ وَالسُّنَّةَ فَاترُكُوهُ).

وَقالَ الإمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (مَا مِن أَحَدٍ إلاَّ وتَذهَبُ عَليهِ سُنَّةٌ لِرَسُولِ اِلله ﷺ وتَعزبُ عَنهُ، فَمَهما قُلتُ مِن قَول، أَو أَصَّلتُ مِن أَصلٍ، فِيه عَن رَسُولِ اِلله ﷺ خِلافُ ما قُلتُ، فَالقَولُ ما قَالَ رَسُولُ اِلله ﷺ وهُوَ قَولِي)، وَقالَ أَيضاً: (إذا رَأَيتُموني أَقولُ قَولاً وقَد صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ خِلافُهُ فَاعلَمُوا أَنَّ عَقلِي قَد ذَهَبَ).

أَمَّا الإمامُ أَحمَدُ فَقَد قَالَ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (مَن رَدَّ حَديثَ رَسُولِ اِلله ﷺ، فَهُو عَلى شَفا هَلَكَةٍ).

هَذا مُجمَلُ ما وَرَدَ عَن أُولَئِكَ الأَئِمَّةِ الذِينَ طَبَّقَت شُهرَتُهُم الآفاقَ، وقَد أَحسَنَ النَّاظِمُ عِندَما قَالَ:

قَـــالَ أَبـو حَـنِيفَةَ الإمـامُ		لاَ يَنبَغِي لِمَـــن لَـهُ إسْـلامُ
أخــذاً بِأَقـوالِي حَتَّى تُعرَضا		عَلى الحَديثِ والكِتابِ المُرتَضَى
ومَالِــكٌ إمـامُ دارِ الهِجـــرَةِ		قَـالَ وقَد أَشارَ نَحوَ الحُجـرَةِ
كُلُّ الكَـــلامِ مِنـهُ ذُو قَبــولِ		ومِنهُ مَـــردودٌ سِوى الرَّسُولِ

والشَّافِـــعِيُّ قَـالَ إِن رَأَيتُم قَـولِي مُخالِفاً لِمـا رَوَيتُــمُ
مِنَ الحَديثِ فَاضرِبوا الجِدارا بِقـولِي المُخالِـفِ الأَخبــارَا
وَأحمَدُ قَـالَ لَهُم لاَ تَكتُبوا عَنِّيَ بَـل أَصـلَ ذَلِكَ اطلُبُـوا
دِينَـــكَ لاَ تُقَلِّـدِ الرِّجــالَ حَتَّـى تَـرى أَولاهُـم مَقــالا

اَللهَ نَسأَلُ أَن يَرزُقَنا حُبَّ السُّنَّةِ وَاتِّباعَها، وبُغضَ البِدْعَةِ واجتِنابَها.

الخطبة الثانية

الحَمدُ لِله...

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

لَقَد كَثُرَتِ النُّقُولُ عَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي تَعظيمِ السُّنَّةِ وشَأنِها، فَمِن ذَلِكَ:

مَا قالَهُ الإمامُ البَربَهارِيُّ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (إذا سَمِعتَ الرَّجُلَ يَطعَنُ فِي الآثارِ، أَو يَرُدُّ الآثارَ، أَو يُريدُ غَيرَ الآثارِ، فاتَّهِمهُ عَلى الإِسْلامِ، وَلاَ تَشُكَّ أَنَّهُ صاحِبُ هَوىً مُبتَدِعٌ).

وَقالَ أَبو القاسِمِ الأَصبَهانِيُّ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (قَالَ أَهلُ السُّنَّةِ مِنَ السَّلَفِ: إِذا طَعَنَ الرَّجُلُ عَلى الآثارِ فَينبَغي أَن يُتَّهَمَ عَلى الإِسْلامِ).

وَقالَ أَبو قِلابَةَ رَحِمَهُ اُلله تَعَالَى: (إِذا حَدَّثتَ الرَّجُلَ بِالسُّنَّةِ، فَقَالَ: دَعنا مِن هَذا وهاتِ كِتابَ اِلله، فَاعلَم أَنَّهُ ضالٌّ).

وقَد عَلَّقَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ عَلى هَذا الأَثَرِ بِقَولِهِ: (وإِذا رأَيتَ المُتَكَلِّمَ المُبتَدِعَ يَقولُ: دَعنا مِنَ الكِتابِ والأَحادِيثِ والآحادِ، وهاتِ العَقْلَ فَاعلَم أَنَّهُ أَبو جَهلٍ. وَإِذا رأَيتَ السَّالِكَ التَّوحيدِيَّ يَقولُ: دَعنا مِنَ النَّقلِ ومِنَ العَقلِ وهاتِ الذَّوقَ! فَاعلَم أَنَّ إِبليسَ قَد ظَهَرَ بِصُورةِ بَشَرٍ أَو قَد حَلَّ فِيهِ. فَإِن جَبُنتَ مِنهُ فَاهرُب، وإِلاَّ فَاصرَعهُ وابرُك عَلى صَدرِهِ، وَاقرَأ عَلَيهِ آيَةَ الكُرسِيِّ، واخنُقهُ).

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

لَقَد كانَ مِن نِتاجِ تِلكَ المَناهِجِ المُخالِفَةِ لِمَنهَجِ أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، كانَ مِن نِتاجِها نُشوءُ مَدارِسَ يَزعُمُ أَتباعُها: أَنَّهَا مَدارِسُ إِصلاحِيَّةٌ، كانَ واِلله عَدَمُها خَيراً مِن

وُجودِها؛ ودَلِكَ أَنَّ مُنظِّريها وَالقائِمينَ عَليها لَوَّثُوا الفِطَرَ، وكَدَّرُوا صَفاءَها بِتِلكَ المَدارِسِ المُخالِفَةِ -بَل والمُعادِيَةِ- لِمَنهجِ أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ.

فَمَدرَسَةٌ تَلبَسُ ثِيابَ المُعتَزِلَةِ، فَرَدّاً لأَخبارِ الآحادِ وتَأويلاً لِلصِّفاتِ، ومَدرسةٌ تُقَدِّمُ وتُؤَخِّرُ -بَل تَنبُذُ- النَّصَّ، ومَدرَسةٌ تَستَخِفُّ بِالسُّنَّةِ.

وَبِكُلِّ حال: فَلا لِلإِسْلامِ نَصَرُوا، وَلا لأَعدائِهِ كَسَرُوا.

اللَّهُمَّ اهدِنا صِراطَكَ المُستَقيمَ، واهدِنا لِما اختُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذنِكَ؛ إِنَّكَ تَهدِي مَن تَشاءُ إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ.